الإيمان بالقضاء والقدر
في ديوان الطائر المهاجر
للدكتورة: إخلاص فخري عمارة

هيفاء رشيد عطا الله الجهني *

المقدمة

الحمد الله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على الهادي الأمين سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

إن الشعر مرآة لقائله، ومؤثر فيمن يقرؤه: في معانيه وألفاظه بما يحويه من بث مشاعر وآلام وأفكار وتوجهات، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ لذا كانت مهمة رسالة الأديب المسلم في غاية من الأهمية، فحري به ألا يقول أو يكتب أدباً- شعراً أو نثراً- يتداوله الناس فيؤثر فيهم بما لا يتوافق والخلق الإسلامي القويم، وقد يتراجع ذلك الأديب عن الرأي الفاسد، أو النقمة العارضة أو الانفلات الخلقي المؤقت، لكن ماخطه يمينه في ذلك يبقى وصمة سيئة في جبينه إلى يوم القيامة. وقد صدق الشاعر عندما قال:

وما من كائن إلا سيبلى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بمينك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

من هذا المنطلق عزمت على المشاركة في الملتقى للأدبيات الإسلاميات برابطة الأدب الإسلامي، وقد كان بين يدي ديوان «الطائر المهاجر» للشاعرة المعاصرة الدكتورة: إخلاص فخري عمارة، فوجدت فيه مادة جيدة للبحث في الإبداع الإسلامي، إذ كانت رغم تعرضها لظروف صحية صعبة، فقد كادت أن تفقد أغلى

(*) كاتبة سعودية، ماجستير في الأدب والنقد، مكة المكرمة.

نعمة أنعم بها الله على الإنسان، ألا وهي نعمة البصر، كانت رغم الظروف الحالكة وتبعاتها الممزقة من امتناع - بل منع - من القراءة والكتابة، والقيام بأي مجهود بصري إذ نراها تقول:

سمعت من الطبيب قرار حكم أكاد لهوله أعيا بأمري

سيغدو كل ما حولي ظلاما ويوشك أن يكف ضياء بصري[١]

وتقول:

وكنت - لحسرتي - للغير عوناً فصرت بغير حول دون غيري [٢]

وتقول:

يقول الطبيب سيأتي غدي ظلام، ظلام، بلا لمحة [٣]

فهي رغم ذلك صابرة مؤمنة بقضاء الله وقدره، رطبة اللسان بالدعاء، محتسبة عنده جل وعلا، وهذا أمر لا يتأتى لكل مسلم، بل لمن منحه الله عمق إيمان وصدق دعاء، وحسن صبر.

ولا يخفى أن انبعاث الإيمان بالقضاء والقدر في النفس يعمق الروح الإسلامية في هذه النفس، ويسمو بها إلى علياء الرضا والرحمة والسكينة، ويعد استلهام الأدب الإسلامي لقيم الإسلام ومعطيات فكره من أهم الوسائل لتأكيد هذا الانبعاث.

لذا وجدت نفسي تواقة لدراسة هذا الديوان، وإلقاء الضوء على الروح الإسلامية فيه عامة، والإيمان بالقضاء والقدر خاصة.

أسأل الله التوفيق والسداد، إنه سميع مجيب الدعاء.

ربنا عليك توكلنا وإلينا أنبنا وإليك المصير

الباحثة

(١) ديوان الطائر المهاجر، ص ٦٧ .
(٢) ديوان الطائر المهاجر، ص ٦٨.
(٣) ديوان الطائر المهاجر، ص ٣٤.

الشاعرة: إخلاص فخري عمارة:

أ- حياتها وثقافتها (*):

- ولدت الدكتورة إخلاص فخري عمارة في بلدة القلج، إحدى قرى محافظة القليوبية في الخامس والعشرين من يوليو ١٩٤٠م، تلقت الدراسة الابتدائية بضاحية عين شمس، وحصلت على الإعدادية والثانوية العامة نظام المنازل.

- التحقت بدار العلوم - منبر العلم ومنار الثقافة- ليقينها بمدى اهتمام هذه المؤسسة العلمية بالدراسات العربية، «وإن مما ينبغي أن تفتخر به بلاد مصر، تلك المؤسسة العلمية والجامعة الحضارية: دار العلوم، التي تعد- بحق- مَعْلَمة التاريخ، حيث تخرج منها كبار الأساتذة والعلماء، وكان لها السبق العلمي في العالم الإسلامي في استقطاب أهل العلم والثقافة من العلماء والمفكرين للتدريس بها[1].

- حصلت على درجة الماجستير عام ١٩٧٧م عن موضوعها «الحنين والغربة في شعر المهجر» ثم الدكتوراه عام ١٩٨٢م عن موضوعها: «شعر شفيق المعلوف - دراسة فنية» .

- عملت سنوات في كليات التربية للبنات بجدة ومكة المكرمة، وكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى.

- تفتقت قريحتها الشعرية في مرحلة مبكرة، فكان لها: ديوان الطائر المهاجر، وديوان وكذا الرجال، وديوان ثالث تحت الطبع «قبل فوات الوقت» .

قامت بتأليف العديد من الكتب والدراسات الأدبية، وشاركت في العديد من المؤتمرات والمحافل الأدبية، فمن مؤلفاتها:

١- الشعر وهموم الإنسان المعاصر.

(*) اعتمدت في التعريف بالشاعرة على ما حواه ديوان الطائر المهاجر من معلومات، وما لدي من مؤلفات الشاعرة.

(١) جريدة البلاد، ملحق التراث، العدد ١٥٦٥٨، الخميس ٢٩ صفر ١٤٢٠هـ، الموافق ٣ يونيو ١٩٩٩م.

٢- في القصة القصيرة والرواية.
٣- الإسلام والشعر.
٤- استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل.
٥- قراءة نقدية في الشعر العربي المعاصر.

وهذا الكتاب الأخير عبارة عن دارسات نقدية تقدمت بها الشاعرة في بعض المحافل الأدبية مؤتمر طه حسين الخامس عشر، جامعة المنيا ١٩٨٨م، حيث شاركت بدراستها: بين الشعر والفلسفة (دراسة نظرية وتطبيقية لمطولة الطلاسم: لإيليا أبو ماضي[١].

ومشاركتها في الاحتفال بالعام المئوي لدار العلوم ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، بدراسة شعر الدكتور حامد طاهر بعنوان: حين يموسق الشعر قضايا الفلسفة.. دراسة نقدية لديوان «قصائد عصرية» . وغير ذلك من الدراسات النقدية.

ولا زلنا ننتظر المزيد من العطاء الشعري والأدبي للدكتورة إخلاص عمارة - أطال الله في عمرها.

ب - اتجاهها الشعري:

هناك عامل مهم جداً أثر في اتجاه الدكتورة إخلاص الشعري في رأيي، هو ضعف البصر لديها ومعاناتها الشديدة بسبب ذلك، فأتى شعرها وجدانياً بحتاً يقوم على الشكوى وبث مشاعر الألم، مع التسليم بالقضاء والقدر، وما يتبعه من حمد وصبر على البلاء، ودعاء، واحتساب.. لكنه لم يخل من الحكمة في كثير من الأحيان مع أنها لم تقصد إلى شعر الحكمة تعمداً، بل كان يأتي عفوياً خلال شعرها الوجداني الذي تثبت فيه همومها وآلامها وأحزانها، إلا أننا يمكن أن نستنبط الكثير من الحكم البالغة في شعرها كقولها على سبيل المثال فقط:

ما قدر كائن، وقضائي نافذ[٢].

---

(١) الصواب: (إيليا أبي ماضي).
(٢) الديوان، ص ٩٨ .

وقولها:

ولا مرد للقضاء لو نزل[١].

وقولها:

ينفذ ماقدره الله بلا تغيير[٢]

فهي شاعرة وجدانية بالدرجة الأولى عبرت عما يجول في وجدانها بشعر عذب صادق في طلاقة جميلة، لا تحمل تنافراً لفظياً، ولا تعقيداً معنوياً، ولا قيوداً مصطنعة، يسمو به التعالي النفساني والإخلاص الفني:

«والشعر في تصوري هو أكمل الفنون الجميلة، لأنه يحتوي الموسيقى بما فيه من أوزان ونغم، ويضم الرسم بما فيه من خيال مجنح وصور ملونة، وهو يغني عن النحت بما فيه من تجسيد وتشخيص، ثم هو إلى كل ذلك عبق بجمال اللغة وسحر التعبير» [٣].

كما استنتجت أنها ترى في الشعر تهذيب النفوس وتقويمها:

ويا شعر هذب في النفوس شعورها وبدد غشاوات العيون لتنظرا

وحلق خيالَ الشعر في كل وجهة لترتاد آفاقاً، وللقلب تسحرا [٤]

فالشعر - في رأيها - ينظم لتهذيب النفوس، ويعيد القوى الجامحة إلى صوابها، أما الشكل الذي تنظم عليه قصائدها فإنه يقوم على المزاوجة بين شعر البحر وشعر التفعيلة، فمن شعرها القائم على البحر قصيدة طموح:

أو كلما خبت الأماني وانزوت ظننت أحلامي جميعاً قد هوت

عاد الطموح يثيرها ويثيرني وإذا التي هجعت بأعماقي صحت [٥]

---

(١) السابق، ص ٤٢ .
(٢) السابق، ص ٧٦.
(٣) السابق، ص١٣٠ .
(٤) الديوان، ص٣١.
(٥) السابق، ص٤٧ .

ومن شعر التفعيلة لديها قصيدة لحظات.. ولحظات:

نتباعد لحظات الفرح.. تنحسر رويداً

تتضاءل.. تندر

تتبخر.. تصبح ذكرى

والذكرة تبهت، فتتحول وهماً

أنساها.. أنكرها.. أفقد حتى إمكان تصورها[١].

والشاعرة تقف موقفاً متوسطاً بين القديم والجديد «فأنا من أنصار الشعرالتقليدي، بشرط ألا يكون هو الكلام الموزون المقفى وحسب، أقصد ألا يكون نظماً، وأنا كذلك من المتحمسين للشعر الجديد- شعر السطر والتفعيلة- بشرط ألا يهبط لمستوى النثرية ويفتقد النغم» [٢].

كما يقول مقدم الديوان الدكتور عبد الهادي الفضلي حول ذلك «نرى الشاعرة تعيش البيئة الشعرية العربية في كلا اتجاهيها الشعريين من حيث موسيقى النظم والوزن، فتقول (شعر البيت) وتكتب (شعر التفعيلة) وهما الاتجاهان السائدان للنظم العربي على صعيد الساحة الشعرية المعاصرة [٣].

ولا ريب أن المبدع المسلم ذا الرأي الحصيف، والفطرة السليمة، يحاول أن يفيد من موروثه الأصيل، ليصهره في بوتقة الجديد الجميل، فيضمن بذلك بشعره البقاء والخلود في أسفار الأدباء وأذهان القراء.

كما أن اتجاهها الوجداني الذاتي كان إسلامياً خالصاً تهيمن عليه تعاليم هذا الدين القويم فيحجم ويهدئ سخطها ونقمتها وضجرها ويأسها، فهي القائلة:

صبرت على قضائي ما شكوت — رضيت من الحياة بكل عسر

دعوت الله بالغفران يمحو — بقايا آهة ندت بشعري[٤]

---

(١) السابق، ص٧٣ .

(٢) الديوان، ص٣١.

(٣) مقدمة الديوان، ص ٧ .

(٤) الديوان، ص ٧١.

هذا ما استطعت أن أخرج به حول اتجاه الدكتورة إخلاص عمارة الشعري بعد ملازمتي لديوان الطائر المهاجر، وقراءتي له.

الإيمان بالقضاء والقدر في ديوان الطائر المهاجر:

أ- الديوان :

نشرت الشاعرة ديوانها (الطائر المهاجر) لأول مرة عام ١٩٨٦م، في دار الشروق بجدة، ثم طبع الطبعة الثانية في مكتبة الآداب بالقاهرة عام ١٩٩١م، والنسخة التي بين يدي هي الطبعة الثانية.

والديوان يأتي في مائة وست وثلاثين صفحة من القطع الصغير، والطباعة أتت أيضاً بحرف صغير يتناسب مع حجم الصفحة.

وقد حوى الديوان اثنتين وثلاثين قصيدة تفيض بمشاعر الألم والأمل، وتزخر بالمعاني الإسلامية، وفي مقدمتها الإيمان والتسليم بالقضاء والقدر، وحسن الصبر، والشكر في الرخاء والشدة، والدعاء والاحتساب، وفيه شيء من الغزل المهذب العفيف، وبعض القصائد عن الوالدة ومالها من عظيم حب وتقدير في قلب الشاعرة، واعتراف بحقها وحسن صنيعها.

وقد قدم له الدكتور عبد الهادي الفضلي[١]، وفي نهاية تقديمه ذكر لنا انطباعه عن الديوان أو تقديره له حيث قال: «وأخيراً التقدير الذي خرجت به من قراءاتي لهذا الديوان، أن الأخت الشاعرة أضافت بديوانها هذا إلى مثيلاتها من الشواعر[٢] العربيات المعاصرات، شاعرة إسلامية في التزامها، عربية في أصالتها ومعاصرتها [٣].

وبعد قراءتي له أيضاً وجدت أني أمام شاعرة وجدانية تتميز بإشعاع الروح الإسلامية في شعرها، وتأصيل تلك الروح في نفوس قارئيه، وذلك ما سنتعرف عليه في الصفحات الآتية [٤].

---

(١) أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، لكلية الآداب والدراسات الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز، بجدة.

(٢) يقصد الشاعرات.

(٣) مقدمة الديوان، ص ١٢/١٣ .

(٤) في الدراسة الموضوعية.

ب - الدراسة الموضوعية:

تطالعنا معان وقيم إسلامية عديدة في ديوان الطائر المهاجر، لكن القيمة الأكثر ورود فيه والأقوى هيمنة عليه هي الإيمان بالقضاء والقدر، وما يتبع ذلك من صبر ودعاء وحمد واحتساب، ففي ثلاث عشرة قصيدة حواها الديوان يظهر هذا الإيمان بوضوح وجلاء، فعلى الرغم من الإحساس بالألم والمعاناة، واحتمال فقدان البصر لدى الشاعرة، وهي تذكر ذلك في أكثر من قصيدة، ففي قصيدة «حرمان» تقول:

كذا أنا وقد جلست تحت مجهر الطبيب

والحلم في النجاح يملء الفؤاد

والزهور والطموح في ملامحي

والغد قد بدا مبرعم المنى

ويبسم الطبيب دون طعم

بلهجة خلت من الشعور قال:

لا درس، لا قراءة

وقتِّرى، وحاذري

فكل ما لديك، كله قليل.

إلى أن تقول:

كذا جلست عند مكتبي

أمامي الديوان والرواية

مقالة حديثة وقصة

لجنة منمقة

وذكريات الأمس في المخيلة وددت لو سجلتها

وأمسك القلم، وأصلح الأوراق، أنظف المنظار

أقرب الكتاب، أضاعف الأنوار

لكن ضربة عنيفة برأسي

تبعثر الأوراق تحجب الضياء[١]

فهي ضعيفة البصر، مهددة بفقده، وطبيبها يمنعها من القيام بأي مجهود بصري، لكن حبها وشغفها بالقراءة جعلها تضرب بكلام الطبيب عرض الحائط، ومع ذلك لم تستطع، فالمرض أقوى منها، وضعف البصر يزداد لديها، إذ نراها تقول في قصيدة «قد أبكي ألماً»:

في أحد الأيام السالفة الجهمة

حذرني بعض أطبائي من أني قد أفقد بصري

وتصور أن بإمكاني تأخير الأمر

أو حلم بألا يحدث أبداً

لو أني أغمضت العين

وتجنبت قراءة سطر، أو حتى حرف

وضننت بعيني أن تنظر أكثر من نصف الوقت

أو يكفي الربع

لو أني قد نمت طويلاً.. أو بالأحرى.. مت

ووعدت طبيبي بالطاعة والحرص في تنفيذ الأمر

* * *

حاولت كثيراً.. لكني في الحق فشلت

والقدر.. إذا قدر.. ينفذ لابد

فقرأت كثيراً، وكتبت كثيراً، واصلت الدرس[٢].

فهي تعيش في صراع مرير بين رغبتها في القراءة والكتابة، وبين امتثالها لأمر الطبيب كي لا تفقد ماتبقى من بصيص نور في عينيها.

---

(١) الديوان، ص٤١ .

(٢) السابق، ص ٩٧.

وفي قصيدة «ادعي أمي» تقول:

تدعو أمي.. لكن

بدلاً من أحلام العرس، وأضواء الفرح المأمول

وهناء الدنيا مجتمعاً، ونعيم الآخرة الصافي

صار الأمل الأوحد لفؤاد الأم المكلوم

أن يلطف ربي في قدري، ويحملني ما أحتمل من الآلام

أن يبقى في عيني بعض بصيص النور

كي أعرف ليلي ونهاري، كي ألمح دربي، وأسير بغير دليل

كي أصنع زادي بيدي، ولا أثقل كاهل غيري[١]

ولنستمع إليها قولها:

أمـد الكف كي أطهـو طعـامي ... فـأقلب دون قـصـد مـابقـدري

وقـد أحـتـاج للشيء القـريب ... أظل عليـه في كـر وفـر

وألبث بانتظار العـون دهراً ... كـمـا لو كـان يبـعـد ألف مـتـر

ولو أني ملكت بصـيص ضـوء ... مـددت الكف أمـسكه بيسـر[٢]

أشعرت - قارئي العزيز - بمدى الألم والمعاناة التي تعرضت لها الشاعرة، وما أطلت في إيراد النماذج حول مصابها في عينيها إلا لاستشعار مدى المعاناة التي تعرضت لها، وكيف أنها وقفت أمام ذلك كله صابرة، صامدة، كشجرة أصيلة تقاوم الريح العاتية، مؤمنة بقضاء الله وقدره، محتسبة ذلك عند الله جل جلاله، فلنقف على مدى إيمانها في قولها:

ولـولا قـــوة الإيمـان عـنـدي ... وعـفـو الله يغـريـني بأجـر

لريع الكون من صيحـات حـزني ... إذا أطلقت زفـراتي بجـهـر[٣]

---

(١) الديوان، ص ٧٦.

(٢) السابق، ص ٦٨.

(٣) السابق، ص٧٦.

فقوة الإيمان لدى المسلم تمنعه من كثير من الانفعالات والاعتراض على الواقع مهما كان مؤلماً.

كما نرى عمق إيمانها بالقضاء والقدر في قولها:

ماقدر كائن، وقضائي نافذ

وأنا به أؤمن، وله أنقاد

لا أحمل سخطاً، لا أصرخ فزعاً، لا أبدي ندماً

لكن- رغمي- قد أبكي ألماً (١)

وفي خطابها لوالدتها في قصيدة «ادعي أمي» إيمان وتسليم بالقضاء:

يا أماه

ينفذ ماقدره الله بلا تغيير

وقضاؤه يمضي في خلقه، لاراد لأمره

أعلم هذا، وكذلك أنت (٢)

كما يزداد إيمانها قوة وعمقاً بازدياد يقينها بأن لله في كل شيء حكمة، فإذا أعطى كانت له حكمة في ذلك، وإذا منع كذلك، فنراها تقول حول هذا:

فقد يقتضي علمه بالورى ... عطاءً وفيراً بلا منة

وقد يقتضي قبض هذا العطاء ... ليمتحن العبد بالقلة

ليعلم أي العباد الشكور ... وأيهم كافر المنحة

وأيهم صابر في البلاء ... رضيّ وإن خص بالنقمة

ويجزل يوم الحساب الثواب ... لمن شكر الله في الشدة (٣)

---

(١) الديوان ص٩٨.

(٢) السابق، ص٧٦ .

(٣) الديوان، ص ٣٩.

وكأنها استلهمت ذلك من قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط» [١].

ويرافق الإيمان بالقضاء والقدر في نفس المؤمن دوماً صبر جميل، ودعاء مستديم، وشكر في السراء والضراء، واحتساب في البلاء، وقد تحقق للشاعرة هذا كله، إذ نراها تقول:

إلهي شكرتك في نقمتي ... وهاقد صبرت على شقوتي

لك الحمد، حمداً بغير انتهاء ... إليك أتوب من الزلة

فهب لي قلباً صبوراً شكوراً ... بذكرك ينبض في خشية [٢]

وعن مدى صبرها وأملها في الله تقول:

لازلت.. وقد ضاع العمر وأفلتت الأحلام

لازلت.. وقد ولت خضر الأيام

صابرة آملة تواقة[٣]

وفي الرضا بما قسم الله لها تقول:

رضيت الحكم طائعة وحسبي ... بأن الله بشرني ثواباً [٤]

وكأنها تشير إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾[٥].

وفي صبرها على البلاء محتسبة الأجر عند الله تعالى تقول:

---

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص٢٨.

(٢) السابق، ص٤٠ .

(٣) الديوان، ص٥٥.

(٤) الديوان، ص٩٣.

(٥) البقرة، آية ١٥٥.

فلتدعي يا أمي كل صلاة.. كل دقيقة

ليذوب القلب الضارع في طلب الرحمة

فإذا شاء الله تلطف بي في المحنة

وإذا شاء.. أطال بلائي كي أحظى بعظيم الدرجات

وهو القادر إن يمنحك، أن يمنحني حسن الأجر[١]

ومن صفات المؤمن الحمد والشكر لله وقت الرخاء، وحين العطاء، وقد كانت كذلك:

شكراً لله.. أني قادرة أن أصنع زادي

وأفرق ما بين الظلمة والنور

آلامي تبدو محتملة

وأعد طعامي.. أدعو «ما بين اللقمة واللقمة»

ألا أفقد هذي النعمة

أرفع آيات الحمد[٢]

فهي شاكرة لربها، مثنية عليه وقت الرخاء، وحين انقشاع الظلمة وذهاب الألم.

إنها صفات عظيمة اتصفت بها الشاعرة، لا بد وأنها ستترك أثراً قويماً في نفوس قارئيها، فهي مؤمنة مسلمة بقضاء الله وقدره، راضية ما قسم الله لها، رطب لسانها بالدعاء، صابرة على البلاء، محتسبة ذلك كله عند ربها الذي لا يغفل مثقال ذرة من عمل العبد، لكن هذا لا يمنع من الثورة في بعض الأوقات، فالنفس قد تنوء بحمل الألم أحياناً، وتفقد الصبر لحظة، لكن النفس المؤمنة ما تلبث أن تعود إلى طبيعتها، وهي: الصبر والاحتساب، والتسليم بالقضاء والقدر، وقد لمست ثورة الشاعرة وسأمها وضجرها أحياناً، مما تعانيه من آلام ومصاعب وعدم قدرة على

(١) الديوان، ص٤١.

(٢) الديوان، ص ٤١.

القراءة والكتابة وهي شغوفة بهما أيما شغف، أضف إلى ذلك كونها شاعرة رقيقة القلب، مرهفة الحس، فمن ثورتها وسأمها وضجرها قولها:

وأرقب لحظة التنفيذ للحكم

أيخبو الضوء في عيني مساء اليوم؟

أيبزغ في غد فجري.. أتشرق ثانياً شمسي.. يظل الليل للأبد؟

فأين الموت.. أين الموت.. يطلقنا ويرحمنا؟؟ (١)

فعندما كثرت عليها الهموم والآلام، وناءت بحملها تمنت الموت في شيء من الضجر والنزق، ونراها في قصيدة «الطائر المهاجر» عنوان الديوان، قد شبهت الفرح بالطائر المهاجر الذي لا يبقى طويلاً ولايستقر أبداً، وقد ذهبت ولا يعود، حين قالت:

الفرح طائر مهاجر لا يعرف البقاء.

إن حط مرة.. يطير

إن طار..لا يؤوب قبل عام.

وقد يموت في الطريق من نصب

وقد تناله البنادق المصوبة

وقد يضل دربنا.. تغويه رفقة، لدى السوى(٢)

بينما جعلت الحزن - في القصيدة نفسها - كالشجرة العظيمة ذات الجذور الممتدة الثابتة:

الحزن في الأعماق ثابت مكين

تشعبت جذوره ممتدة وغائرة

وأهرعت غصونه مخضرة وباسقة (٣)

---

(١) الديوان، ص٨٩.

(٢) السابق، ص٦١.

(٣) الديوان، ص٦١.

وما ذلك إلا لتكالب الهموم والآلام عليها، وهذه هي فطرة الإنسان: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾[١] لكن جزعها لا يستمر طويلاً، فما تلبث أن تعود سريعاً إلى التسليم بقضاء الله في صبر واحتساب، ففي القصيدة الواحدة نلمس أحياناً مشاعر الضجر والسأم والثورة، ثم ينصهر ذلك كله في هدوء ويتلاشى، وتختفي تلك المشاعر ليحل محلها الرضا، والإيمان بالقضاء، والدعاء، ففي قصيدة «تراجع» تصور استلامها لليأس إذ تقول:

سأغمض عيني كرهاً، أنام ... وأغرق في الليل والظلمة
وأبطئ في الخطو، أزحف هوناً ... فكم أتوجس من عثرتي
وأقبع في الدار مستسلمة ... فلست بعبء على رفقتي
أنام طويلاً، وأغفو كثيراً ... تماثل نومي مع اليقظة
تشابه عندي نهاري وليلي ... تساوى الضياء مع العتمة[٢]

ففي قولها: أنام طويلاً أرى كناية عن الموت، ورغبة فيه، وفي قولها: تساوى الضياء مع العتمة نظرة فيها شيء من التشاؤم واليأس، لكن ما تلبث أن تعود سريعاً إلى حقيقتها، وهي الإيمان بقضاء الله والأمل في عطائهم، فأخذت تقول:

ولكن برغم الظلام الكثيف ... برغم الحلوكة والقسوة
تفضل ربي بفيض العطاء ... وفجر نبعاً من الرحمة
ففي القلب نور شديد السطوع ... ولم يخب يوماً ولم يخفت
ضياء البصيرة نور الرضا ... وشكر دؤوب على النعمة[٣]

وأخيراً نلمس في القصيدة نفسها شكرها لله تعالى ودعاءها بأن يغفر ويصفح عما يصدر منها في لحظات اليأس والضجر:

وغفرانك اللهم مما بدا ... وصفحاً كريماً على هفوتي

---

(١) سورة المعارج، آية ٢٠.
(٢) الديوان، ص٣٧.
(٣) الديوان، ص ٣٨.

إذن نحن أمام شاعرة مسلمة مؤمنة بقضاء الله وقدره، استطاعت أن تتغلب على الكثير من المصاعب التي لاقتها، وأهمها وأصعبها ضعف البصر، وأن تواجه أحلك اللحظات برباطة جاش وقوة صبر، ودوام شكر ودعاء ورجاء. «ويرجع هذا إلى ما تتمتع به الشاعرة من مناقب إسلامية ابتعدت بها عن الانزلاق في وهاد الجزع والسخط والغضب لعرض هذه الدنيا الفانية فهي تحيا اليوم والغد ولكن بروح الإنسان المسلمة، معاشاً من الله ومعاداً إليه[١] فهي بذلك تضيف إلى مسيرة الأدب الإسلامي المعاصر لبنة صالحة تساعد على توطيد وترسيخ القيم الإسلامية العظيمة في نفوس قارئيه.

جـ/ قيم إسلامية أخرى حواها الديوان :

بعد ملازمتي لـ «الطائر المهاجر» وجدت أن هناك قيماً إسلامية أخرى غير الإيمان بالقضاء والقدر، وما يندرج تحته من حسن صبر، ودوام شكر، ورجاء، ودعاء، واحتساب.. فلم أستطع إغفال تلك القيم، وما تحويه من معان سامية عظيمة أهمها: - بر الوالدين، فالشاعرة خصت والدتها بثلاث قصائد في الديوان هي «منك تعلمت، ادعي أمي، وهدية» فمن قولها في «منك تعلمت»:

يا قلباً فياض المنح سخي الإغداق
قلباً علمني كيف أحب، وكيف أذوب حنيناً وحناناً.
علمني أن أنسى ذاتي وأجود بما يحفظ أودي[٢].

وكذا كل القصيدة التي تبلغ أربع صفحات من الديوان اعتراف بما لأمها من فضائل في تعليمها وتهذيب سلوكها، وفي ختام القصيدة نلمس رقة في الإحساس، وعذوبة في الاعتذار عن أي تقصير:

معذرة أمي إن قصرت الكلمات

---

(١) السابق - ص ٧.
(٢) الديوان، ص٥٣.

فعطاؤك أعظم من كل الكلمات

وحنانك فوق حدود الكلمات

تكفيني «أمي»

من بين جميع الكلمات [١]

وقد اعتادت الشاعرة أن تهدي قصيدة لوالدتها كل عام، وفي أحد الأعوام لم يتأت لها ذلك فكان العتاب من الأم: «كتبت لي أمي تتمنى ولو نصف قصيدة أو حتى بيتاً [٢]» فنظمت الشاعرة في ذلك قصيدة «هدية»:

قالت في آخرها:

تريدين شعراً؟ ياهوان قريحتي ... إذا قصرت عن قول كل مذهب

تريدين شعراً؟ لارعى الله أعينا ... تنوء بتسطير القصيد المهذب

تريدين شعراً؟ بل حياتي كلها ... «أميمة» إني طوع أمرك فارغبي

وفخر لشعري أن يكون هدية ... وفخر لشعري أن يقال لتعجبي

فحييت ياأماه كل هنيهة ... وجاد عليك الله كل محبب [٣]

كما نرى مشاركة والدتها لها في الألم، واعتصار قلبها حزناً على ما تلاقي ابنتها من آلام وضعف إبصار، فتقول قصيدة «ادعي أمي»:

أمي آملة، ما زالت تدعو

ترفع كفيها لاهفة وتلح على الله وترجو

ما سئمت يوماً أو تعبت

ما يئست أبداً، ما كفت

---

(١) السابق، ص٥٦ .

(٢) نفسه، ص٥٩.

(٣) الديوان، ص٥٩.

إلى أن تقول:

صار الأمل الأوحد لفؤاد الأم المكلوم

أن يلطف ربي في قدري

أن يبقي في عيني بعض بصيص النور[١]

فشاعرة بارة بوالدتها، معترفة بحسن صنيعها وحقها في الولاء والطاعة، وذلك من منطلق إيمانها القوي ورسوخ عقيدة التوحيد في نفسها، وتمثل تعاليم الإسلام في أقوالها وأفعالها، فالله تعالى يقول في حق الوالدين: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴿٢٤﴾ ﴾[٢]

- **التفاؤل والأمل:** كما وجدت قيمة رائعة جداً نحن في أمس الحاجة إليها، ألا وهي التفاؤل والأمل، وقد حث الرسول ﷺ على الفأل حين قال: «لا عدوى ولا طيرة وعليكم بالفأل» فمن التفاؤل قولها:

سأهزأ بالأحزان، أدفع وقعها وأشحذ إصراري، وأعلن ثورتي

وأبعد عن عيني غيم تشاؤمي وأبسم للدنيا، لتعكس بسمتي[٣]

أي تعلق ثورتها على الألم والحزن واليأس والتشاؤم، وما أجمل قولها «وأبسم للدنيا، لتعكس بسمتي» فهذا منتهى التفاؤل وغاية الأمل، وهو مطلب ديني ووجداني لتستقيم الحياة، ويصل الإنسان إلى السعادة إن شاء الله.

كما سمت إحدى قصائد الديوان «بسمتي[٤]» وهو اسم تتجلى فيه معاني التفاؤل والتوقع في كل الأمور خيراً، فبعد أن تساءلت: هل تتخذ الأسى منهجاً؟ والتعاسة طريقاً، والشكاية ديدناً، أم تسلم وتبدل الصبر باليأس قالت:

رأيت الخير في النهج الأخير فكانت بسمتي للثغر ثغراً

وصرت إذا أصابتني خطوب رأيت بهن تسرية وبشرى

---

(١) السابق، ص٧٥ .
(٢) سورة الإسراء آية ٢٤.
(٣) السابق، ص١١١ .
(٤) السابق، ص٢٥

رأيت الخير في النهج الأخير فكانت بسمتي للثغر ثغراً

وصرت إذا أصابتني خطوب رأيت بهن تسرية وبشرى

- **الغزل:** كذلك وجدت للشاعرة شيئاً من الغزل في عدة قصائد في الديوان، وبعد القراءة المتأنية لها وجدت أنها تحتوي على غزل مهذب عفيف لا يخرج أبداً عن دائرة المباح في الإسلام سواء في ألفاظه أو معانيه، ففي قصيدة «سؤال» تقول:

خفقات قلبي يا حبيبي ساءلتني: ما الخبر؟

طال البعاد وملنا، وعن هوانا كم صبر..؟

أتراه ضيع عهدنا؟ حتى الوعود: أما ذكر؟ (١)

كما لا يخلو هذا الغزل من الإيمان بالقدر أيضاً، فهي تقول:

الحب من قدر الإله، فهل نعارض ما قدر؟

هو أمره في خلقه، ألنا الخيار إذا أمر؟ (٢)

وعلى نحو ذلك كانت قصائد الغزل في الديوان.

- **دور الشعر في حياة وفكر متلقيه:** أخيراً وقفت على قيمة هامة جداً وهي استشعارها لدور الشعر في حياة وفكر متلقيه، وهذه هي مهمة الأديب المسلم، حيث رأت ضرورة توظيف الشعر لتهذيب النفوس وتوطيدها على فعل الخير، وإجلاء الفكر لرؤية الحق، وذلك من خلال قولها في قصيدة سلمت يداً(٣).

وهي يعصم العقل الجموح إذا طغى وحاد عن الدرب القويم تجبراً

سوى همسة في بيت شعر فنغمة تخاطب في الأعماق أصلاً وجوهراً

فتوقظ غافي القلب والحس والنهى وإذا بالجماد الصلد ذاب مشاعراً

---

(١) السابق، ص١١١ .

(٢) الديوان، ص١١٢.

(٣) السابق، ص٢٩ إلى ٣٢ .

وهي يعصم العقل الجموح إذا طغى وحاد عن الدرب القويم تجبراً

سوى همسة في بيت شعر فنغمة تخاطب في الأعماق أصلاً وجوهراً

فتوقظ غافي القلب والحس والنهى وإذا بالجماد الصلد ذاب مشاعراً

إلى أن تقول:

ويا شعر هذب في النفوس شعورها وبدد غشاوات العيون لتنظرا

وحلق خيال الشعر في كل وجهة لترتاد آفاقاً، وللقلب تسحرا

إذن نحن أمام مؤمنة، أديبة، شاعرة، استطاعت أن تهمس في أذن كل من يهوى الأدب والشعر، وتروق له الكتابة النظم بأن المهمة ليست سهلة، فالأديب هو الموجه الحقيقي للأفكار والآراء، وللكلمة أثر أقوى من السحر.

فرب بيت شعر واحد يعيد للغافل عقله، وللجانح صوابه، والعكس صحيح.

لذا حري بكل أديب مسلم أن يوظف أدبه - شعراً أو نثراً - لخدمة دينه وعقيدته، ومبادئه ليكون عنصراً بناءً وفاعلاً في المجتمع المسلم، وتبقى كلماته عبقاً يعطر سيرته دوماً، ونبراساً يحتذى أبداً.

د/ دراسة اللغة والأسلوب :

إن ديوان الطائر المهاجر مشحون بحرارة العاطفة الإيمانية بقضاء الله وقدره، مما جعل الصدق يهيمن على لغة الشاعرة، وأسلوبها، فالألفاظ قوية، حارة، موحية، لا تخلو من مسحة الحزن ولمسة الأسى، كما لا تبعد عن التفاؤل والأمل والرجاء، بينما كان النغم عذباً رقيقاً ينساب من بين الكلمات والأبيات، فلا نجد تعقيداً لفظياً، ولا قيوداً زخرفية.

وقد اهتمت الشاعرة بالموضوع والفكرة[1] فأخذت تنتقي الألفاظ، وتعدد الصور لتبرز أفكارها في وضوح وجلاء.

(١) أنظر الدراسة الموضوعية.

وتعتبر الدكتورة إخلاص في طليعة الشعراء الإسلاميين المعاصرين الذين استلهموا القرآن الكريم وتعاليم الدين الحنيف في شعرهم، فهي متأثرة به في ألفاظها ومعانيها، فمن استلهامها لألفاظ القرآن الكريم قولها:

أم النفس أكسبها الشقاء تجهماً ... وران عليها ساتر من كآبتي؟

فمر مذاق العيش رغم صفائه ... ورغم ارتشافي من معين سعادتي[١]

فكلمتا «ران» و«معين» وردتا في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، كلمة «ران» في سورة المطففين»: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٢].

وكلمة «معين» في قوله تعالى في آخر آية في سورة الملك ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ وقد وضعتهما الشاعرة في موضع يناسب دلالتهما الذي ورد في القرآن[٣].

كذلك ذكرت لفظ الجنة للتعبير عن الجمال في قولها:

كذا جلست عند مكتب

أمامي الديوان والرواية

مقالة حديثة وقصة

كجنة منمقة[٤]

فقد وردت كلمة (جنة) مضافة إلى النكرة مرتين في القرآن الكريم، في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[٥]

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[٦]

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[٧]

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾[٨]

---

(١) الديوان، ص٢٢ .
(٢) سورة المطففين، آية ١٤ .
(٣) سورة الملك، آية: ٣٠ .
(٤) الديوان، ص٤٣ .
(٥) سورة الواقعة: آية ٨٩ .
(٦) سورة المعارج: آية ٣٨ .
(٧) سورة الحاقة: آية ٢٢ .
(٨) سورة الغاشية: آية ١٠ .

ووردت مرتين موصوفة بنكرة في قوله تعالى، وفيما عدا ذلك فهي إما معرفة أو مضافة إلى ضمير، أو مضافة إلى اسم معرفة.

وفي قصيدة «الطائر المهاجر» أتت بلفظين من ألفاظ القرآن الكريم في قولها:

الحزن في الأعماق ثابت مكين

تشعبت جذوره ممتدة وغائرة

وأمرعت غصونه مخضرة وباسقة[١]

فكلمة «مكين» وردت في القرآن الكريم أربع مرات[٢]، وباسقة وردت مرة واحدة لكن بصيغة جمع المؤنث السالم في قوله تعالى: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [٣]

ومن تأثرها بألفاظ القرآن الكريم أيضاً قولها:

وربي عـــــادل برّ رحـــــيم إذا العبـد الصبـور له أنابا [٤]

فكلمة «بر رحيم» وردت مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٥]

كذلك نجد استلهامها لألفاظ القرآن الكريم في قولها:

لك الحق أن تزهو وتشدو مـفـاخـراً فقد فزت بالأولى ولن تغدو آخراً [٦]

فكلمتا الأولى والآخرة وردتا في القرآن الكريم مجتمعتين في آية واحدة أربع مرات في قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾[٧]، وقوله: ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٨]، وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [٩] وقوله: ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [١٠].

---

(١) شديدة الارتفاع.
(٢) سورة يوسف آية ٥٤، المؤمنون آية ١٣، المرسلات آية ٢١، التكوير آية ٢٠.
(٣) سورة ق، آية ١٠ .
(٤) الديوان، ص٩٣ .
(٥) سورة الطور، آية ٢٨ .
(٦) الديوان، ص٢٩.
(٧) سورة النجم، آية ٢٥ .
(٨) سورة النازعات، آية ٢٥.
(٩) سورة الليل، آية ١٣ .
(١٠) سورة الضحى، آية ٤ .

لكن هنا استقت اللفظ فقط من القرآن بينما المعنى اختلف، فهي تقصد بالأولى التقدم والصدارة والآخرة النهاية، بينما معنى الأولى في القرآن الدنيا، «دار الزوال» والآخرة يوم القيامة «دار البقاء» .

كما اقتبست لفظ «وزر» من القرآن الكريم، حين قالت:

وربي عـــــادل بـرّ رحـــــيم إذا العـبـد الصـبـور له أنابا (١)

فقد ورد اللفظ بصيغة المفرد النكرة ست مرات في القرآن الكريم(٢) وقد كان اقتباسها للكلمة موفقاً جداً، كما نجد إشارة لمعاني القرآن الكريم والحديث الشريف إشارة لما ورد فيها من توجيهات حول فضل الوالدين إذ قالت في قصيدة «هدية»:

لك الحق أن تزهو وتشدو مفاخراً فقد فزت بالأولى ولن تغدو آخراً (٣)

ففي القرآن الكريم بيان لفضل الوالدين في أكثر من موضع، وقولها:

يهنيك عزاً حكم خير بني الورى رضاؤك عني للنعيم مقربي(٤)

فالرسول ﷺ تحدث كثيراً عن فضل الأم، وحث على برها، وذكر أن الجنة تحت أقدامها، فقد قال ﷺ: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»(٥).

وقد أحسنت الشاعرة استلهام جميع ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف التي أوردتها وكذلك الألفاظ الدينية وذلك بوضعها في المكان المناسب لها التي يتفق وسياق المعنى دائماً، وما ذلك إلا لتعمق روح الإسلام في نفسها وتشبعها بألفاظ ومعاني القرآن الكريم وتعاليم الدين القويم، كما أفادت من الألفاظ الدينية، فقد أتت بلفظة «يلوذ» مرتين في الديوان الأول في قولها:

أرى من ذاق بالأحـــداث مـــراً يلوذ بأمسه ليعيد ذكرى (٦)

كما وردت اللفظة مرة أخرى في قولها:

فهل نحظى بإحدى الراحتين نلوذ بضعفنا مستسلمينا (٧)

---

(١) الديوان، ص٦٥ . (٢) الأنعام آية ١٦٤، الإسراء آية ١٥، فاطر آية ١٨، الزمر آية ٧، النجم آية ٣٨، طه آية ١٠٠.
(٣) الديوان، ص٥٧ . (٤) السابق، ص٥٧ .
(٥) رواه الإمام أحمد. (٦) الديوان، ص ٢٥ .
(٧) السابق، ص١٠١ .

فكلمة «يلوذ» مصطلح ديني يرد في المسائل الدينية كثيراً كقولنا «يلوذ المؤمن بربه» بمعنى يلجأ إليه ويعتصم به، كما استوحت أسلوباً ولفظاً دينياً في قولها:

منك تعلمت أكون النهر الدفاق حياة ونماء

يروي الظمآن ويغسل ما يعلق بالنفس من الأدران[١].

ففي كلماتها هذه اقتباس من قول الرسول ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه من شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: « فذلك مثل الصوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا**»[٢].

كما لجأت إلى أسماء الله الحسنى كثيراً، كالرحيم، واللطيف، والخبير، والعليم، وقد أتت بهذه الأسماء الأربعة في بيت واحد مع لفظ الجلالة:

عطاء إله لطيف خبير عليم بنا، واسع الرحمة [٣]

وقد استطاعت أن تنتقي هذه الصفات انتقاء رائعاً في حديثها عن العطاء، فالعطاء لا يكون إلا من لطيف خبير، عليم ورحيم، فذكرت الاسم الرابع معناه «واسع الرحمة» لاقتضاء القافية.

ونظراً لهيمنة الروح الإسلامية الخالصة على الديوان، وارتباط الشاعرة الوثيق بالله تعالى في بث آلامها وأحزانها، واللجوء إليه دائماً أكثرت من إيراد لفظ الجلالة «الله» واللهم، وإله، وإلهي، وربي، إذ نجد هذه الألفاظ مبثوثة في ثنايا الديوان فلا تكاد تخلو قصيدة منها، كما ابتعدت عن الألفاظ العامية والمبتذلة، حتى عندما أرادت أن تستشهد بمثل دارج، أتت به في عبارة فصيحة رصينة جميلة، حيث قالت:

صادقة تلك المأثورة

من غاب عن العين، يغيب عن القلب ويغفله الفكر[٤].

---

(١) السابق، ص٥٣ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصوات الخمس كفارة.

(٣) الديوان، ص ٣٩.

(٤) السابق، ص١٢١ .

ومن الجدير بالذكر أن ألفاظها كانت عربية خالصة لم تدخل أي لفظة أجنبية على أي قصيدة من قصائد الديوان، وهذا أمر واجب ومحتم على كل أديب مسلم عربي، إذ عليه أن يحافظ على لغة القرآن الكريم من الدخيل والغريب، وكل ما قد يؤدي إلى ضعف أو ركاكة، هذه اللغة التي نزل القرآن العظيم بها.

وأخيراً لا يفوتني الحديث عن مدى صدق العاطفة لدى الشاعرة، فقد كانت العاطفة الجياشة سمة بارزة جداً في الديوان، فلا تقول الشاعرة إلا ما يعتمل في نفسها حقيقة، وما يعبر عن مشاعرها وآلامها، والصدق مطلب ديني، وسبب من أسباب جمال الشعر وخلوده، ومما يؤكد هذا الصدق في العاطفة لدى الشاعرة مجيء القافية في كثير من قصائد الديوان مكسورة، والكسر يوحي بانكسار النفس، وحدة الألم وعمق العاطفة، وقد كانت كذلك، فهي متألمة أشد الألم لمرض عينيها واحتمال فقدها لبصرها، فكانت القافية المكسورة دليلاً على انكسار نفسها، وعمق حزنها، لا سيما إذا عرفنا أن معظم الكسر كان من خلال ضمير المتكلم (ياء الملكية) تقولها في قصيدة «قصة الأحزان» والتي تبلغ تسعة وخمسين بيتاً مكسورة القافية:

فيا من لامني في الحزن مهلاً ... تأمل حجتي واسمع لعذري

سأحكي قصة الأحزان عندي ... وكيف اليأس يجثم فوق صدري[1]

وقولها في تراجع:

أذبت الأسى في بحور الخليل ... وصغت من اللحن تنهيدتي

فإن لم أر الضوء عبر النهار ... لم يشرق الشعر في مهجتي[2]

وبذلك تكون الدكتورة إخلاص فخري عمارة قد جعلت من إبداعها الشعري مرتعاً خصباً ترعاه المشاعر الصادقة، وفضاء واسعاً تحلق فيه القيم السامية، كما أثرت الإبداع الشعري الإسلامي المعاصر ببث الروح الإسلامية الصادقة في ثناياه لفظاً ومعنى.

---

(١) الديوان، ص٦٥ .

(٢) السابق، ص ٣٩.

الخاتمة

وبعد: فديوان الطائر المهاجر اشتمل على مجموعة من القصائد الوجدانية التي زاوجت فيها الشاعرة بين شعر البحر وشعر التفعيلة في أسلوب عذب رقيق، وألفاظ جزلة جميلة مؤثرة وعاطفة صادقة متدفقة قوية، ومعان سامية وقيم إسلامية رائعة من إيمان وتسليم بقضاء الله وقدره، ولسان رطب بالدعاء والحمد والثناء على الله في الرخاء والشدة، وقلب ثابت صابر على البلاء محتسب الأجر عند الله تعالى. فما تعرضت له الشاعرة من الآلام في عينيها واحتمال لفقد بصرها مصاب ليس سهلاً على النفس، لكنها رغم الألم والمعاناة والحزن تقبلت ذلك كله، ولجأت إلى الله، وأكثرت من الدعاء والشكر.

وقد كان أثر القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي واضحاً في معانيها وألفاظها أيضاً، فحين تتحدث عن الصبر والدعاء نجدها تشير إلى معاني القرآن وألفاظه في ذلك. وحين تتناول فضائل الأم تستلهم ألفاظ القرآن ومعانيه أيضاً، وعلى هذه الشاكلة كانت في جميع قصائد الديوان، مما يؤكد صلتها الوثيقة والمستمرة بكتاب الله تلاوة وتدبراً، وحديث المصطفى ﷺ استيعاباً واقتداء، وتعاليم الإسلام تفهماً وإدراكاً.

وهي بذلك استطاعت أن تتفهم وتستوعب رسالتها باعتبارها شاعرة لا بد أن تؤثر في نفوس وعقول متلقي شعرها فما نظمت إلا ما يرضي ربها، ويقوم من سلوك قارئي ومتذوقي شعرها.

قائمة المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- الأدب الإسلامي، قضية وبناء، د. سعد أبو الرضا، ط (١)، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م عالم المعرفة، جدة.

٣- الطائر المهاجر (ديوان شعر) د. إخلاص فخري عمارة، مكتبة الآداب القاهرة.

٤- القاموس المحيط للفيروز أبادي ط (٢) ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- المعجم الوسيط، ج١، ج٢، دار الفكر، القاهرة.